

## "إنشاء التصور الاستشراقي لشخصية الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم من خلال كتاب الاستشراق لإدوارد سعيد".

تقديم طالب الدكتوراه : بن قلوعة صلاح الدين

إشراف الدكتور: محمد خطاب

جامعة عبد الحميد بن باديس - مستغانم (الجزائر)

كلية الأدب العربي والفنون

### الملخص:

يعمد إدوارد سعيد من خلال كتابه (الاستشراق) على تفكيك نصوص المستشرقين الذين ادعوا الإلمام بالعلوم والمعارف الشرقية، وبالخصوص الإسلامية والعربية منها، وكذا شخصية النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وسلم، وقد أمعنوا في التشويه والظعن والمناورة من أجل ضرب مفاصل الأمة إضعافاً لهويتها، وعملاً على تشكيكها بثوابتها بدءاً برمز: الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم. ومن هذا المنطلق قام إدوارد سعيد بفضح هذه الأطروحة الرامية إلى تليفيق التهم ورسم الصور القاتمة عن الذات المحمدية الشريفة (على أمل تنفير الناس من الإسلام ورسوله) وطمع في إخراج المسلمين من إسلامهم بعد أن يؤسوا - المستشرقون - من إدخالهم في المسيحية. فكان (الاستشراق) مستنطقاً لنصوصهم في إطار عملية تشرحية عميقة أصابتهم بالخيبة، ودحضت مزاعمهم.

### Résumé

Edward Said, through his book Orientalism, dismantled the texts of orientalists who claimed knowledge of the Eastern sciences and knowledge, especially the Islamic and Arab ones, as well as the character of the Holy Prophet Muhammad, peace be upon him, and they have mastered the distortion and challenge and maneuver in order to strike the joints of the nation weakening its identity, Doubts of its constituents starting with the rampart of Islam: Muhammad peace be upon him. In this sense, Edward Said exposed this thesis aimed at fabricating the charges and drawing the gloomy images of the honorable Muhammadiyah (in the hope of alienating people from Islam and His Messenger) and aversion to the removal of Muslims from their Islam after the Orientalists had despaired of introducing them into Christianity. "Orientalism" was based on their texts in the framework of a deep anatomical process that disappointed them and refuted their claims.

الكلمات المفتاحية: محمد صلى الله عليه وسلم الرسول، إدوارد سعيد، الاستشراق، المستشرقون، الإنتحال، المسيح، الدين.

**مقدمة:**

تعتبر الثقافة الشرقية مادة دسمة نقتات منها محابر المستشرقين الغرب والمسيحيون منهم بالخصوص الذين أفاضوا في إنشاء تصور حريف للذات المحمدية الطاهرة الشريفة والثقافة الإسلامية ككل وهم يطلقون على هذه الذات المنشأة "ماهومت" أو "موميتو" ويدعون أن المقصود من هذا هو الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، وهذه التنشئة جاءت - حسب الأمزجة العلية - تعرض صورة سوداوية شائنة عن الحقيقة، وكل مستشرق يذهب به تصوره إلى اتجاه خاص ولكنه متشرب من النزعات العنصرية والعدائية مع استثناءات محدودة جدا والتي تبدو أقل عدائية أو أن نبرتها أخف حدة مع ذلك تبقى بعيدة عن الموضوعية كما يقول إدوارد سعيد .

وهذا البحث يجمع في طياته نماذج عن مستشرقين طالتهم دراسة سعيد وهم يتحدثون عن الذات المحمدية الطاهرة الشريفة "الرسول محمد صلى الله عليه وسلم" بطريقة مفعمة بالتشويه والقذف، على أمل أن تلقى دراساتهم رواجاً في العالم الغربي والشرقي على حد سواء.

وفي آخر البحث سنقدم ردوداً مقتضبة ولكنها كافية لدحض المفتريات الباطلة والاتهامات التي تتم عن انحياز وعدم دراية. وفضح المستشرقين الذين يدعون الموضوعية وعدم قصدية التشويه والقذف والحقيقة تقول خلاف ذلك كما سنتبين من خلال هذا البحث.

تعتبر الثقافة الشرقية مادة دسمة نقتات منها محابر المستشرقين الغرب والمسيحيون منهم بالخصوص الذين أفاضوا في إنشاء تصور حريف للذات المحمدية الطاهرة الشريفة و الثقافة الإسلامية ككل وهم يطلقون على هذه الذات المنشأة "ماهومت" أو "موميتو" ويدعون أن المقصود من هذا هو الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وهذه التنشئة جاءت - حسب الأمزجة العلية - تعرض صورة سوداوية شائنة عن الحقيقة، وبحلول الوقت كان الشرق الأدنى أدغم تماماً في التصور المسيحي اللاتيني للعالم، كما حدث في أغنية رولان حيث تصور عبادات العرب على أنها تشمل "ماهومت" وأبولو... وكان القصد من ذلك كله أن يوضح المسيحيون للمسلمين أن الإسلام لم يكن أكثر من صورة معدولة ضالة عن المسيحية".

وقد أمعن الكتاب في إنتاج وتصوير شخص يزعمون أنه الرسول الأعظم بصيغة تجل منه أكثر الناس تأثيراً سواء في التاريخ أو السوسولوجيا أو الانثروبولوجيا ولكن من منظور غربي متحيز وعدواني، حتى أصبح بعضهم يطلق عليه لقب المنتحل - حاشاه - أي أنه انتحل صفة و إيديولوجيا عيسى المسيح عليه السلام في أخلاقه ومعاملاته وأسلوب دعوته، وكذا الاقتدار على التأثير وجمع الأنصار حوله وتلقينهم طريقته في التعامل مع شتى مناحي الحياة من جهة الطقوس التعبدية من الأديان السابقة كالإنجيل والتوراة على حد زعم هؤلاء المستشرقين من ناحية أخرى.

وحتى المباحات والمحظورات في زمانه لم تخرج عن إطار وصايا موسى المدونة في الألواح، ومن خلال هذه التعليمات والوصايا المنتحلة أو المقتبسة تم له (ماهومت) / **Mahomet** جمع أتباع على طريقة الحواريين مع عيسى عليه السلام.<sup>1</sup>

" لقد تكدست حول محمد في العصور الوسطى حزمة من الخصائص التي تطابقت مع شخصية أنبياء (الروح الحرة) [في القرن الثاني عشر] الذين ظهروا في أوروبا وإدعو أنهم صادقون وجمعوا ورائهم اتباعا، وبطريقة مشابهة. ما دام «محمد» قد أعتبر ناشرا لوجي زائف، فقد أصبح هو كذلك تجسيدا للشيق... وسلسلة كاملة من الخيانات المتنوعة جميعا بصورة منطقية من انتحالاته المذهبية.<sup>2</sup>

وهذا بعض ما جاء في تشريح المستشرقين أو بناء لشخصية لا علاقة لها بذات الرسول الاعظم عليه الصلاة والسلام الا من ناحية التشويه والاتهامات الباطلة وهو الذي قال له الله عز وجل: "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين" الآية (107). سورة الأنبياء.

ويظهر كتاب الاستشراق لصاحبه ادوارد سعيد الخلفية المقيتة والعبثية لهؤلاء المستشرقين المأجورين والدافع العنصري الذي يشحن الشخصية التي تبحث عن كل ما هو سيء وسلبى لتختلق له صلة بمحمد عليه الصلاة والسلام، تخرج للعالم صور على هذا النحو من التناقض والانتحال، ويقوم سعيد في كتابه «الاستشراق» بتشريح هذا التشريح بكل وتفصيل إضافة الى المعجم المعتمد والتراكيب اللغوية المتميزة والتي خص بها كتابه المذكور، كما إدعى المستشرقون بعد كل هذا أنهم مجرد مؤرخين أو موثقين - موضوعيين أو منصفين - لسيرة محمد بكل صدق وأمانة وحيادية. ولكن جاءت دراسة إدوارد سعيد لأعمالهم بكل ما حملته كتاباتهم من مقاصد وخلفيات تصب في عنصرية موهلة الهمج.

حتى أهل العلم والفلسفة المنصفين أو الموضوعيين ناهيك عن المتعاطفين مع الثقافة الشرقية، هم من أهل جهنم لأنهم لم يطعنوا في الإسلام وفي رسول الإسلام وفي القرآن ولم يعملوا على إدانة الثقافة أو الثقافات الشرقية أو العربية.

<sup>1</sup>- إدوارد سعيد، ترجمة كما أبو ديب الاستشراق، المعرفة السلطة الإنشاء - مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، لبنان، 2010-2012، ط7، ص90.

<sup>2</sup>- الاستشراق، المرجع السابق، ص91.

والبعض الآخر من المستشرقين لم يكتف بالشخصية المحمدية، وإنما تجاوز ذلك إلى كثير من أعلام التراث الشرقي / الشرق أوسطي جغرافيا، من أمثال ابن سينا، ابن رشد، صلاح الدين الأيوبي... إلخ، ممن حملوا الرسالة المحمدية جهادا واجتهادا علميا وفكريا وفلسفيا وفقهيا... وصنفوهم من الخالدين في جهنم وحتى الفلاسفة اليونان لم يسلموا من طعون المستشرقين.

" .. يسجن الإسلام في مواجهة حضارية وجها لوجه من الغرب... ولكي نضرب مثلا كبيرا على ذلك أي النبي محمد صلى الله عليه وسلم ذاته فإننا نلاحظ بشكل ضمني أن شبح المسيح يتراءى خلف أي تحليل لشخصيته على يد المستشرقين، فإذا كان محمد صلى الله عليه وسلم غير صادق - على فرض أنهم يستعرضون صدقه على طريق التساؤل - فذلك أن المسيح كان صادقا، وإذا كان - أي رسول الله - يمارس متعدد الزوجات ويميل إلى النزعة الحسية والجنسية، فذلك أن يسوعا كان عفيفا طاهرا، وإذا كان محاربا وسياسيا فإنه يختلف عن المسيح المسالم أو المهزوم المصلوب... وهكذا ينبغي أن ينال من النبي بأي شكل<sup>1</sup>.

إن هذه الشخصية المصطنعة التي ألصقوها بشخصية رسول الله - أكثر البشر مظلومية من طرف المستشرقين - أرادوها أن تكون نقيضا للمسيح عليه السلام ( الذي اختلقوا له شخصية هو الآخر، فحرفوا الحقائق وحاربوه... ثم الآن يخنفون خلفه ) ف **ماهومت / Mahomet** غير صادق لأن يسوع صادق وهو شهواني لأن الآخر عفيف طاهر، ثم إنه عنيف ومحب للحرب لأن الآخر مسالم مهزوم إلى درجة أنهم صلبوه !.

وقد قال اللهتبارك وتعالى: " وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (157) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (158) "، (النساء: 157-158). ووصل بالمستشرقين أن يعتبروا الإسلام الذي جاء به ماهومت / محمد عليه الصلاة والسلام وهو بريء من هذا ما هو إلا إقتباس غير سوياً وشائه للمسيحية و الصليبية الراقية حتى رسول الإسلام انتحل شخصية المسيح ليؤثر في الناس ويجمع الأنصار: "وبحلول الوقت كان الشرق الأدنى قد أدغم تماما في التصور المسيحي اللاتيني للعالم كما حدث في أغنيه رولان حيث تصور عبادات العرب على أنها تشمل وكان القصد من ذلك كلفان يوضح المسيحيون للمسلمين أن الإسلام لم يكن أكثر من صورة معدولة ضالة عن المسيحية"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - موسوعة الاستشراق، ص 562.

<sup>2</sup> - الاستشراق، ص 90.

وهذا المنطق الاستشراقي فيه إلغاء صريح للإسلام كدين قائم بذاته، له كتاب خاص "القرآن" مختلف عما سبقه من الديانات الأخرى والشرائع السماوية وما زالت هناك نماذج أخرى من تصريحات المستشرقين بخصوص هذا الموضوع الذي ينم عن تنسيق ضمني بينهم في محاولة التأثير على الرأي الغربي وكذلك الشرقي (المشرق) فكل يذهب في اتجاه ويقدم أدلته وبراهينه التي يريد بها "إنشاء محمد" حسب المعتقد الغربي كما سبق وأن تم "إنشاء الشرق" فهذه الشخصية التي يرسمونها تختلف بصماتهم في صنع ملامحها إلا أن الهدف الموحد والأوحد هو صورة رجل محب للدماء منتحل لشخصية المسيح.

وهناك رسالة ضمنية بهذا الصدد تقضي بأن هناك شرق انتحال شخصية الغرب - وذلك في تصور جمعي للموقف - فالشرق المنحط المتأخر يعمل على تقليد - سيده - الغرب الراقى اقتداء بـ **ماهومت / محمد** عليه الصلاة والسلام والذي يعمل على تقليد وانتحال شخص المسيح - قذوة الغرب وممثلهم.

لقد كدست حول "محمد" في العصور الوسطى حزمة من الخصائص التي تطابقت مع أنبياء (الروح الحرة) في القرن الثاني عشر الذين ظهروا في أوروبا، وادعوا أنهم صادقون وجمعوا وراءهم أتباعا وبطريقة مشابهة، فما دام محمد قد اعتبر ناشرا لوحي زائف فقد أصبح هو كذلك تجسيدا للشيق والفسق... وسلسلة كاملة من الخيانات المتنوعة التي اشتقت جميعا من بصورة منطقية من انتحالاته المذهبية<sup>1</sup>. وتكون النتيجة أن عملية الانتحال هذه التي ينسبون بها إلى **ماهومت** الذي أنشأه حسب الطلب، انتشرت في جزيرة العرب إلى درجة أنها صنعت منتحلين مقلدين أتباع مما انعكس نشاطهم سلبا على الشرق - انتاج المتمردين والعصاة - وعلى الغرب كذلك نشر الثقافة الزائفة، وهكذا نجد في القرنين الثاني عشر والثالث عشر تصديقا عاما لكون الجزيرة العربية على حواشي العالم المسيحي ملجأ طبيعيا للهراطقة العصاة ' وأن محمدا كان مرتدا داهية<sup>2</sup>.

هكذا يوصف الرسول الأعظم في هذا المقطع النصي الذي يبين مدى الإصرار المقصود في طعن رسول الله عليه الصلاة والسلام من أجل قطع الطريق على من يريد الوصل وزرع ما يسمى الاسلاموفوبيا أي التخويف من (**ماهومت**) في إطار التخويف من الإسلام لأنه من صنعه وأنشأه، وهذا المخطط الرهيب الذي جسده **ماهومت** على جغرافيا الشرق - المتسعة الأرجاء - جعل من العرب أمة ذات ثقافة خاصة بها كما يدلي بذلك المستشرق **كوسان**: "العرب حولوا إلى أمة من قبل محمد، وأن الإسلام كان أساسا أداة سياسية، لا أداة روحية بأي شكل وهذا ما يبرز نتيجة لدراسة الإسلام، هو بالمعنى الحرفي صورة وحيدة

<sup>1</sup> - الاستشراق، ص 91.

<sup>2</sup> - الاستشراق، ص 92.

البعد ( محمد ) " ووضع في المركز بواسطة اقتباسات، لا تحصى تقذف به إلى الأعلى.. إلى خارج النص.. وكان في نية كوسان أن لا يترك شيئاً دون قوله عن محمد، ومن ثمة فإن النبي يرى في ضوء بارد وقد جرد من كلا قوته الدينية الهائلة ومن قدراته الكامنة على إرهاب الأوروبيين".<sup>1</sup>

يوضح سعيد في نص كوسان أنه يسعى لاختلاق شتى المساوى لإلصاقها بماهومت والإدعاء أنه "محمد"، وأنه تربيع على مركزية الحكم الشرقي - الشرق الأوسطي - وذلك بعد تشبعه بالتراث القديم خاصة منه المسيحي ودراسة مفصلة وتحليلية لشخص المسيح سعياً إلى تقمص هذه الشخصية مع التصرف فيها - التزييف والانحراف - من أجل إرهاب أوروبا ويستدرك كوسان بأن الطاقة الإيمانية الهائلة لماهومت لم تكن كافية لإرهاب أوروبا - وهو الهدف المنشود لماهومت - ثم يضيف سعيد أن مستشرقاً آخر ذهب اتجاه مخالف ولكن مع ذلك يبقى متهجماً على ذات الرسول الأعظم عليه الصلاة والسلام بطريقة الخاصة.

يقول إدوارد سعيد: " وليس ثمة من حاجة لتقديم خلفية تاريخية، إذ أن الدليل المطلوب لإدانة محمد متضمن في الصيغة (هو كائن).. كما أنه لا يبدو ضرورياً أن يقال أن محمد كان منتحلاً وكل مرة يلفظ المرء عبارة يصبح محمد منتحلاً أكبر..

ومن ثم فإن عنوان سيرة محمد الشهيرة التي كتبها "هنري بريدو" في القرن السابع عشر هو الطبيعة الحقيقية للانتحال.. وأخيراً من الطبيعي فإن فصلات مثل المنتحل (أو الشرقي في هذا المجال) تتضمن بل إنها تتطلب نقيضاً ما، وهذا النقيض هو الغربي أو في حالة محمد هو المسيح".<sup>2</sup>

هذا التصور الثاني يشترك مع سابقه - أي تصور كوسان - إلا أنه يضيف أمراً بالغ الأهمية هو إظهار النقيض الإيجابي لهذا التصور السلبي الشرقي أو (المحمدي) والجانب الإيجابي يمثله هنري بريدو في الغرب الذي يقابل الشرق السيئ، والمسيح الذي يناقضه ماهومت المنتحل، ويواصل سعيد في تشريح وابل الاتهامات التي لحقت نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام.. فهناك - حسب سعيد - من خفف من هذه الأوصاف السابقة مثل المنتحل... ولكنه من زاوية أخرى إدعى أن ماهومت محمد قام بتأليف القرآن وكان تخفيفه لاتهامات ماهومت / محمد بالأوصاف السيئة، تعويضاً لوصف القرآن بهذه السلبيات والتناقضات.

<sup>1</sup> - الاستشراق، ص 169.

<sup>2</sup> - الاستشراق، ص 100.

يضيف سعيد: " وثمة صورة أخرى لمحمد.. هي الصورة التي خلقها (كارلايل) " صورة محمد المكره على ان يخدم أطروحة تتغاضى مطلقا مع الظروف التاريخية السائدة في زمن النبي ومكانه.. **فمحمد** ليس أسطورة، وليس شهوانيا دون حياء، وليس ساحرا بل إنه رجل ذو رؤية حقيقية وقناعات عميقة بيد أنه " مؤلف القرآن "، ثم يضيف كارلايل مفسرا مضمون القرآن الشائه والمشوش: " هو خليط مهلهل، مشوش، ممل، خام، مستغلق، تكرر لا نهاية له، وإسهاب وإطناب، خام إلى أقصى الدرجات، وبإيجاز غباء فارغ لا يطاق"<sup>1</sup>.

هذا هو الوصف الذي حمله كارلايل وإن نجى منه **ماهومت** / **محمد** فقد الصق بالقرآن ثم تم إتهام **محمد** صلى الله عليه وسلم بأنه هو مؤلف هذا الكتاب " الذي يحمل كما يقول كارلايل مختلف الصفات المنفرة.

والظاهر أن هذا المستشرق عرف قدرة تأثير القرآن الكريم على نفسية قارئه لذلك أراد أن يضرب الموضوع في مقتل، وكانت رسالته الضمنية لقراءه من العالمين الغربي والشرقي أن صفات **ماهومت** / **محمد** لست مضطرا لأن أكررها، - وقد انشغل بهذا الموضوع الكثير من المستشرقين - ولكن الهدف الأسمى والحاضر بين أيدينا هو القرآن، فمحمد مات ويمكن تصديق كل ما يقال عنه وليس هناك أدلة مادية في نظر **كارلايل** تبين عكس ما يقوله المستشرقون، ولكن القرآن مازال كتابا متداولاً ومقروءاً من طرف ملايين المسلمين وكثير من هواة الإطلاع على الثقافات الأخرى، وهذا ما يضع الغرب في حرج من مصداقية وقوة تأثير القرآن الكريم على الناس ناهيك عن الحقائق التي حوتها نصوصه ومافتى العلم يثبت صدقها وواقعيتها لذلك يسعى **كارلايل** لعمل خطة يرى أنها تحد من انتشار واتباع مقروئية القرآن وذلك باستعمال ما يسمى ( الضربة الاستباقية ) أي تسببق النظرة السيئة الشائهة القاتمة عن القرآن ومضمونه ومؤلفه، لأن صورة **محمد** كما يظن المستشرقون أنه صار يمثل كابوساً مرعباً يهدد استقرار الغرب، وبما أنه كذلك يجب نسبة القرآن إليه حتى لا يقرأه الناس انطلاقاً من مفهوم أنه كتاب سماوي منزل من عند الله ومادام **ماهومت** سيء في نظر الاستشراق فإنه سيألف كتاباً أسوأ منه، سينعكس سوء نفسيته وأفكاره على

---

<sup>1</sup>-الاستشراق، ص 100

سطور الكتاب الذي هو من صنعه " القرآن " ويجمل هذا السوء إدوارد سعيد الذي يصل إلى أبعد مدى في كشف دسائس المستشرقين عن الإسلام فيلخص ذلك في هذا المقطع النصي الذي يبوح بالكثير باقتضاب مثير: " إن سيف محمد، والقرآن هما أكثر أعداء الحضارة، والحرية، والحقيقة، الذين عرفهم العالم حتى الآن عنادا ".<sup>1</sup>

ويسوق سعيد على لسان المستشرق ( فريدريك شليغل ) الذي يريد أن يترك انطباعه هو الآخر .

دون أن يحدد عن الخط المشترك بين المستشرقين في إدانة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول:

" إن العبرية - لغة اليهود - صنعت من أجل التعبير النبوي، والتأليه، أما المسلمون فقد تبنا إيماننا بألوهية فارغة ميتة، عقيدة وحدانية لا صفة لها إلى السلبية ".<sup>1</sup>

وحتى العبرية التي يعتبرها الغرب لغة شرقية أي من المواضيع التي يتناولها المشروع الاستشراقي الغربي لتثويته الشرق ككل كذلك ينحو هذا التيار الاستشراقي لويس ماسينيون الذي يدلي بدلوه في الموضوع من منظوره الخاص ذي المرجعية المسيحية والنظرة الصليبية فينطلق من زاوية أن المسيح أخذ هذا الزواج والتقدیس عند الغرب انطلاقاً من أهدى حياته لأعواد المشانق فداء للبشرية ولمشروعه الديني فلقي بذلك رواجاً هائلاً في الناس وبالتوازي مع هذا فإن هناك من نهج السبيل نفسه في الشرق ولكن ' للأسف ' سلب منه هذا الزواج من طرف ماهومت، فالحلاج كما يرى ماسينيون هو من يستحق النبوة في الإسلام كما استحق المسيح ذلك عند النصارى لأن المسيح والحلاج تم صلبهما وشنقهما وإن اختلفت الأسباب فالنتيجة واحدة، التضحية والفداء في سبيل الآخرين وإيماننا بالحرية والإنسانية ونشراً لقيم الخير والسلام في العالم. ومن هذا المنطلق يجب إنصاف الحلاج كما يريد ماسينيون من خلال إتباعه هو بدل ماهومت الذي أخذ أو سلب هذا المجد بغير حق وهو لا يستحقه بل هو منتحل صفة نبي - حاشاه - .

يقول إدوارد سعيد معقبا على موقف ماسينيون من الرسول الأعظم محمد عليه الصلاة والسلام: " وكان الإسلام في عرف لويس ماسينيون الذي قد يكون أعظم المستشرقين شهرة وتأثيراً رفضاً منتظماً للتجسد المسيحي، وكان بطل الإسلام الأعظم لا محمد، ولا ابن رشد، بل "الحلاج" القديس المسلم الذي صلبه المسلمون السنيون لجرأته على شخصنة الإسلام. "<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - الاستشراق، ص 168.

<sup>2</sup> - الاستشراق، ص 123.

<sup>3</sup> - الاستشراق، ص 127.



ويضيف إدوارد سعيد معقبا على هذا النص: " .. لقد قذف محمد خارجا، ومنح الحلاج مكانة بارزة، لأنه اعتبر نفسه شخصية كشخصية المسيح " <sup>1</sup>، إذن مقياس النبوة والبطولة من منظور ماسنيون هو ( الصلب ) أي مشروع فكري، ثقافي، ديني، يجب أن يؤدي في الأخير إلى حبل المشنقة حتى يتبين بعد ذلك أنه مشروع يستحق صاحبه أن يكون ممثلا له، أما في حالة ماهومت الذي لم يتم شنقه وصلبه كالمسيح فإنه فاشل ويجب أن يكون خارج التصنيف المطلوب، وربما أراد ماسنيون أبعد من ذلك أن حبل المشنقة هو المعيار لمصادقية المدعين، وهناك رسائل ضمنية نستشف دلالاتها من خلال هذا الطرح وهو العمل على تغييب (تشويه) دور الرسول الأعظم عن طريق تقديم بدائل وليس الهدف هو إبراز هذه البدائل وتسليط الضوء عليها بقدر ما هو لفت الأنظار إليها لصرف الأنظار عن مواضيع لا يراد لها أن تكون بارزة في الطليعة وفي هذا الموضوع: إظهار الحلاج لتغييب ماهومت، ولم يتوقف الأمر عند هذا ف ماسنيون يقول: " لقد قذف محمد خارجا "يعني حتى طريقة الإبعاد تكون عدوانية جافية ويذكر أن السبب الرئيسي في تركية الحلاج هو تقليده المسيح ليس إلا، "منح الحلاج مكانة بارزة لأنه اعتبر نفسه شخصية كشخصية المسيح"، وهذا فقط يؤهله أي الحلاج أن يكون في الصدارة ويذهب سعيد إلى أعماق من ذلك فيقدم اقتراحا فاصلا فاضحا للخلفيات والدوافع التي توجه هؤلاء المستشرقين لشن مثل هذه الحرب على ماهومت / محمد كما يقبونه فيقول انطلاقا من خلفية المسيحية وموضوعيته في الطرح: " إذا كان في الإسلام خلل، فإن المستشرق يعد نفسه يعارض أي محاولة إسلامية لإصلاح الإسلام، لأن الإصلاح في عرفه خيانة للإسلام " <sup>2</sup>، أي يجب ان يترك الإسلام كما أنشأه المستشرقون ولا يحق لأحد أن ينزع عنه التشوهات التي لم تتعكس على أنصار الإسلام ومجتمعاته الشرقية فقط، وإنما بلغت أضرارها المجتمع المسيحي، كما يقول سعيد موضعا نظرة ( ديبيريلوبارتملي ) من خلال مؤلفه " المكتبة الشرقية " .

---

<sup>1</sup> - الاستشراق، ص 127.

<sup>2</sup> - الاستشراق، ص 129.

مصادر **ديبريلو** كانت شرقية وقد قسم التاريخ إلى نوعين: مقدس، ومدنس.. وعمل كهذا رغم أنه أولى شيئاً من الاهتمام إلى ( مذهب ماهومت/محمد ) الذي أنزل أضرارا بالغة بالمسيحية "، كان أكثر دقة واتقانا من أي عمل، آخر سابق عليه، فيما يخص موضوع الإسلام ورسول الإسلام.<sup>1</sup>

يقول صاحب الكتاب: " انصبت مطاعنهم وشبهاتهم بتركيز قوي على القرآن والسنة كما انصبت بالتركيز نفسه على سيرة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، ولكن ليس لدراسة أحداثها وإحقاق الحق فيها إنما من وجهة إنتقاديةبحثة.. فما يوردون الحوادث إلا لتوجيه الطعن في نبوته عليه الصلاة والسلام، من خلال تفسيراتهم أو تحريفاتهم " <sup>2</sup>، ويضيف الهدف من خلال ذلك التشويه هو زعزعة العقائد وضرب الإسلام من الداخل والتأثير في الشريحة الشبانية والجيل الحديث للمسلمين حتى ينشأوا مذبذبين مترنحين بين هذا أو ذاك، فإن المسلم إذا شك نبوة رسول الله عليه الصلاة والسلام حشر لهفته إلى التمسك بالدين، وهذا مذبذبا حائرا تأنها.

ويضيف الدكتور حسب ضياء الدين مسلطا الضوء على خبايا الاستشراق - من نظرتة الإسلامية المدافعة - "... انصب معظم اهتماماتهم على علوم القرآن والسنة لأنهما المصدران الأساسيان للدين، ثم على سيرة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم للطعن في نبوته من خلال عرض حوادث السيرة النبوية بأسلوب الكذب والتحريف .. ولكن يابى الله إلا أن يحق الحق ويبطل الباطل، وإلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون " <sup>3</sup>.

قال الله تعالى: " يريدون ليطفؤوا نور الله بأفواههم ولو كره الكافرون " الصف، الآية 08.  
" هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ".

<sup>1</sup> - الاستشراق، ص 93.

<sup>2</sup> - د. حسن ضياء الدين عتر، وحي الله - حقائقه وخصائصه في الكتاب والسنة ونقض مزاعم المستشرقين، دار المكتبي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق/سوريا، 1419هـ-1999، ط1، ص33.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص33.

مع أن إدوارد سعيد قد تناول الكثير في هذا المضمرة فإن " دانتي " الذي يورد في كتابه: الاستشراق، قد تجاوز كل الحدود المحظورة فيما يخص الذات المحمدية وقام بتصوير جهنم ومراتبها إلى الدرك الأسفل الذي هو مكان للشيطان وأن ( موميتو / محمد ) في الدرك ما قبل ذلك ولم يتوقف دانتي عند هذا الحد ولكنه قام بتصوير طريقة وتعذيب "موميتو" حاشا لله، ويظهر موميتو-Momitou- محمد في فصل كانتوا 27 من الجحيم وقد وضع في الثامنة من دوائر الجحيم التسع وفي التاسعة من المالبولوج العاشر وهي دائرة من الخنادق الكئيبة التي تحيط بمعقل الشيطان في الجحيم... وبعد محمد ثمة فقط المزيّفون والخونة... قبل أن يبلغ الإنسان قعر الجحيم، حيث يوجد الشيطان ذاته " <sup>1</sup>.

ويضيف سعيد بعد كل هذا الوصف المشين لمقام الرسول الأعظم الذي يخلقه الخيال السقيم لـ دانتي: " وينتمي محمد بهذه الصورة إلى تركيب سلالي متصلب من الشرور.. وعقاب محمد هو أيضا مصيره الأبدي.. " <sup>2</sup>، هكذا يصل إلى أقصى ما يمكنه أن يكون وصفا لمخلوق شرير لم يتجاوزته إلى الشيطان وتمعن النفس الدنيئة لدانتي في تشخيص هذا الوضع.

يقول المستشرق رينان ردا على دانتي: " لقد وصمه 'محمد' دانتي بالإلحاد في رواية الجحيم، وأصبح اسم محمد عنده وعند غيره مرادفا لكلمة كافر أو زنديق "، ويواصل رينان مخاطبا وريادا على المستشرقين من بني جنسه المتحاملين على ذات رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم.

" ولقد كان محمد في نظر كتاب العصور الوسطى تارة ساحرا وتارة أخرى فاجرا شنيعا ولصا يسرق الإبل، لم يفلح في أن يصبح بابا فاخترع ديناً جديداً أسماه الإسلام لينتقم به من أعدائه، وصارت سيرته رمز لكل الموبقات وموضوعاً لكل الحكايات الفضيعة " <sup>3</sup>.

<sup>1</sup>- الاستشراق، ص96.

<sup>2</sup>- الاستشراق، ص97.

<sup>3</sup>- أرنت رينان- دراسات في التاريخ الديني، باريس 1859- نقلا عن كتاب دفاعا عن محمد صلى الله عليه وسلم ضد المنتقسين من قدره، عبد الرحمان بدوي، الدار العالمية للكتب والنشر، ترجمة كمال جاد الله، رقم الإيداع: 99/9131.

قد ساهم عدد لا يحصى من المستشرقين في المشروع والحملة التحريضية ضد محمد صلى الله عليه وسلم والإسلام والقرآن، فكان النبي عليه الصلاة والسلام محل اتهامات جسيمة وخطيرة عبر التاريخ وفي مختلف الدراسات الاجتماعية والإنسانية ككل " إن الكتاب الغربيون يجنحون في معظم الأحيان إلى تصديق أسوء ما يقال عن محمد، وحيثما كان التفسير السيئ لعمل من أعماله تفسيراً مقبولاً في الظاهر اعتبروه كذلك في الواقع"، لذلك صار من مهام المستشرق الطعن في محمد وتلفيق أشنع الروايات عنه تشويهاً لصورته في بلاد الغرب وضرباً وزعزعة لمقامه ومكانته في بلاد الشرق، ولا يهم في ذلك الوسائل أو الحجم أو أساليب الإقناع والافتراء وإما الذي يهم بعد ذلك النتائج المتمثلة في انعكاس ذلك على أرض الواقع من خلال نفور الناس وإعراضهم عن شريعته. ويخلص الكاتب عبد النبي أصطيف في رسالته الجامعية الموسومة ب: ( صورة النبي صلى الله عليه وسلم في الكتابات الأنجلو-أمريكية ) إلى : "ضرورة إعادة النظر في كتابة السيرة النبوية باللغات الأجنبية في ضوء حقيقة كون النبي صلى الله عليه وسلم شخصية عالمية إنسانية ينبغي أن يسهم في الكتابة عنها باحثون في كل العالم... وذلك بغرض تقديم الصورة الموضوعية الصحيحة لنبي الإسلام ورسول المحبة والعدل والإنسانية"<sup>1</sup>. وهذا فيما يخص كتابة السيرة النبوية على غرار سيرة بني هشام أو كتاب الرحيق المختوم وكتب أخرى يمكن ترجمتها لتصل إلى أبعد نطاق من المقروئية. أما فيما يخص الرد على هؤلاء الذين أمعنوا في هذا التحريف والتشويه وادعوا أموراً لا أساس لها من الصحة فإن الدكتور إبراهيم عوض يجيب برّد مفحم إذ يقول: " والرد على ذلك جد سهل فإن الرسول عليه الصلاة والسلام قد خالف أهل الكتاب في معظم ما عندهم (إلى الصواب بطبيعة الحال). ولهذا فقد كفروا به.

<sup>1</sup> - عبد النبي أصطيف، صورة النبي صلى الله عليه وسلم في الكتابات الأنجلو-أمريكية، دكتوراة فلسفة في النقد المقارن، جامعة أكسفورد، وزارة الثقافة، الهيئة العامة السورية للكتاب، 1983، ص 89.

فكيف يكون قد تلقى عنهم أفكارهم الدينية؟ ولماذا لم يتقدم واحد ( واحد فقط ) من هؤلاء الذين قيل أنهم كانوا يعلمونه، مؤيدا مزاعم قريش، وبخاصة أن الرسول لم يكن له في مكة حول ولا صول .. وإذا كان الرسول يتعلم من عند بعض أهل الكتاب، فلماذا كان المشركون واليهود يحرسون على توجيه الأسئلة إليه عمّا في تلك الكتب وهم يعرفون أنه مطلع عليها من خلال أولئك المعلمين؟<sup>1</sup> وهذا رد واف ودامغ عن الذين يحرفون الحقائق التاريخية والدينية انطلاقا من النزعة العنصرية وتحت ألوية متعددة تصب جميعا في محاربة الإسلام ونبي الإسلام وتخدم إيديولوجيات غربية عدوانية على حساب عالم الشرق خاصة الإسلامي والعربي. يقول المهندس زين السماك: " كانت رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم في الأرض من أجل السلام الحقيقي، ولذا فإن أعداء الإسلام هم أعداء الأمن والسلام الذين يسعون في الأرض فسادا، وذلك لحرمان الإنسان من الاستقرار والأمن والعدل وقتل معاني الإنسانية السمحاء ودعاوى الحب والالتقاء "

قال الله تعالى مبرزا مكانة النبي الكريم عليه أفضل الصلوات والتسليم : " إن الله وملائكته يصلون على النبي. يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما " الآية 56 من سورة الأحزاب.

---

<sup>1</sup> - الدكتور إبراهيم عوض، دائرة المعارف الاستشراقية، أضاليل وأباطيل، توزيع مكتبة البلد الأمين، درب الأتراك خلف جامع الأزهر، القاهرة-مصر، 1998، ط1، ص26-27.

**خاتمة:**

يختزل إدوارد سعيد في أطروحته الاستشراق نماذج عن كتابات المستشرقين في إطار تمرير المشروع الامبريالي التبشيري، والذي يحمل في طياته الدسائس المقيتة، والتي لا يوجد لها مبرر واحد ينادي ببراءتها، أو موضوعيتها وحياديتها. خاصة عندما يتعلق بكتابات هؤلاء عن الثقافة الإسلامية، والقرآن الكريم والذات الشريفة الطاهرة لمحمد صلى الله عليه وسلم، وهو موضوع مقالنا هذا، والذي خلصنا فيه إلى أن هؤلاء المستشرقين كسروا كل الطابوهات، وتعدوا الحدود في وصفهم وتشخيصهم للذات المحمدية، رغم عدم معرفتهم له لا من قريب، ولا من بعيد. ولكن الهدف كان دنيئاً لا طائفة وراءه إلا تشويه صورة محمد في أي اتجاه، وفي كل مناسبة، أملاً في تغيير الناس منه ومن دينه، وتشكيك أتباعه في دعوته ورسالته التي ادعى كثير من المستشرقين أنها من صنعهم ( القرآن من صنع محمد ) .

وكانت جهود هؤلاء جبارة في هذا المجال مدفوعين ومدعمين من رجال الكنائس من أجل إخماد جذوة السيرة النبوية الشريفة وتغييب شخص النبي صلى الله عليه وسلم من خلال تلفيق -ما استطاعوا- من تهمة وإدعاءات باطلة ولكن الله أبطل زعمهم وفضح أضاليلهم فمنا بالخسران المبين .

وجند الله رجالاً وعلماء ومفكرين من أمثال إدوارد سعيد كشفوا هذه الأباطيل وفضحوها .

## القرآن الكريم:

- 1- سورة الصف.
- 2- سورة الأحزاب.
- 3- سورة النساء

## قائمة المصادر والمراجع:

- 1- أرنست رينان- دراسات في التاريخ الديني، باريس 1859- نقلا عن كتاب دفاعا عن محمد صلى الله عليه وسلم ضد المنتقسين من قدره، عبد الرحمان بدوي، الدار العالمية للكتب والنشر، ترجمة كمال جاد الله، رقم الإيداع: 99/9131
- 2- الدكتور إبراهيم عوض، دائرة المعارف الاستشراقية، أضاليل وأباطيل، توزيع مكتبة البلد الأمين، درب الأتراك خلف جامع الأزهر، القاهرة-مصر، 1998، ط1.
- 3- إدوارد سعيد، ترجمة كما أبو ديب الاستشراق، المعرفة السلطة الإنشاء - مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، لبنان، 2010-2012، ط7.
- 4- د. حسن ضياء الدين عتر، وحي الله - حقائقه وخصائصه في الكتاب والسنة ونقض مزاعم المستشرقين، دار المكتبي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق/سوريا، 1419هـ-1999، ط1.
- 5- أ.د. عامر عبد زيد الوائلي- طالب محييس الوائلي، موسوعة الاستشراق، معاودة نقد التمركز الغربي وكشف التحولات في الخطاب ما بعد الكولونيالي، دار الروافد الثقافية ، ابن النديم للنشر والتوزيع، 2016

## المذكرات:

- 1- عبد النبي أصطيف، صورة النبي صلى الله عليه وسلم في الكتابات الانجلو-أمريكية، دكتوراة فلسفة في النقد المقارن، جامعة أكسفورد، وزارة الثقافة، الهيئة العامة السورية للكتاب، 1983.